حدث فى سعى ونجاح بعض البلدان النامية إلى امتلاك قنبلة نووية كأداة ردع، مثلما الحال فى الهند والباكستان والصين ، وربما – أيضا – كوريا الشمالية .

٨– زيادة الاعتمادية على المعارف العلمية والتكنولوچية كأداة رئيسية للتنمية ، كما حدث فى اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا والهند والصين .

٩– قوة ثقافة التنمية الوطنية فى بعض البلدان ، مثل: بلدان جنوب شرق آسيا ، ومؤخرا جنوب أفريقيا والبرازيل ، وانعكاس ذلك على منظومية ممارسات التقدم فيها .

١٠– تزايد القيمة المضافة للبترول بمعدل ١٠٠ – ٥٠٠ مرة عند تكريره .

١١– قدرة الفكر المنظومى كأداة مبدعة فى إدارة الأزمات والتغلب على المشكلات .

١٢– نجاح منقطع النظير فى أعمال اللجنة القومية العليا ؛ للدفاع عن طابا وإثبات الحق المصرى وإستعادته .

خامسا: الديالكتيك بين فكر القوة وقوة الفكر :

إذا كنا قد أشرنا إلى تداعيات «فكر القوة» وآفاق «قوة الفكر» فى إطار ، قد يوحى بالمقابلة بين سلبيات للمجال الأول (فكرة القوة) وإيجابيات المجال الثانى (قوة الفكر)، فإن الواقع يشير إلى الاحتماليات والإمكانات لوجود أشكال مختلفة من التداخلات بين المجالين . وهى تداخلات قد تنتج من التطور فى الحركية الذاتية داخل كل مجال على حدة ، أو قد تتولد من جراء حدوث انقلاب (أو انعطاف) فى مخرجات أحد المجالين بقدر يقود إلى الانزلاق (أو التحول) إلى المجال الآخر . إن هذه التداخلات قد تؤدى – من الناحية النظرية – إلى تعارضات Controversies أو تعضيدات Synergies بين المجالين .

أ- التداخلات الرئيسية :

للتبسيط ، يمكن تناول أربع حالات رئيسية من التداخلات ، والتى نظن أن لها تأثيرات مهمة على إمكانات «تحليل» ما هو جارى ، و«استشراف» المستقبليات ، و«البناء» من أجل مستقبل أفضل :

(١) حالة فكر «قوة الفكر» .

(٢) حالة قوة «فكر القوة» .

(٣) حالة قوة «قوة الفكر» .

(٤) حالة فكر «فكر القوة» .

فى الحالة الأولى ، حالة فكر «قوة الفكر» ، نجد المجال موضوع البحث يختص بالحس المعرفى الناتج عن تطبيق (أو ممارسة) نفوذ ملتزم بالصالح الإنسانى العام . إن تولد هذا الحس أمر تلقائى ؛ أى أمر تلقائى أن ينتج فكر عن «قوة الفكر» ، وأن

تعيش وتزدهر «قوة الفكر» داخل الفكر . إن هذا الفكر يعضد مسيرة (أو حركيات) قوة الفكر ، بمعنى أنه يكون هادياً ومطوراً لها من خلال النقد والاستشراف ، فهو يجنب من الأزمات والكوارث ويساعد فى مواجهتها ، ويقوى التعاضد ويهدى القيادات السياسية والتنفيذية ، وهذا يبين أهمية أن يكون القائد مفكرا .. وأن يكون الفكر هادياً رئيسيًا لمسار الكيانات المختلفة [الأفراد / المؤسسات / المجتمعات].

وأما فى الحالة الثالثة ، حالة قوة «قوة الفكر» ، فإنه من المحبذ – أو من المطلوب – أن يكون لـ «قوة الفكر» قوة . لكن هذا ليس أمراً تلقائيًا فى حدوثه . فقد يكون للفكر قوة خاصة به كفكر ، ولكن هذه القوة ليس لها قوة (بمعنى التطبيق أو الممارسة) خارج قوة الفكر ذاته ؛ أى خارج مجال الفكر . بمعنى آخر ، من المحتمل ومن الممكن طبقاً لظروف ما (فى أرض الواقع) ، أن تكون قوة الفكر موجودة ولكن مغلوبة على أمرها ؛ أى ليس لها قوة أو نفوذ أو سلطان خارج إطارها الذاتى ، أى أن تكون قوة الفكر بلا قوة [بمعنى فكر قوى متسق (وقد يكون إبداعيًا) لكن ليس له نفوذ فى الواقع العملى] . وهذا يفسر ما يمكن أن يكون من تباين مثلا – بين تأثيرات «قوة فكر ما» فى ظل ظروف (أو داخل مجتمع) ما ، وتأثيرات قوة هذا الفكر نفسه فى ظروف أخرى أو داخل مجتمع ما آخر . بالطبع هناك علاقات وتداعيات ثنائية بين الظروف (أو المجتمع) من ناحية ، و«قوة الفكر» من ناحية أخرى، وذلك يشرح ما يمكن أن يوصف بضعف «قوة الفكر» فى مؤسسة ما ، أو مجتمع ما ، أو بلد ما ، أو زمن ما .. إلخ ، وهو – فى المقابل أيضا – يفسر قوة «قوة الفكر» فى ظروف وأزمان أخرى (مثلاً : قوة الفكر التنموى اليابانى بعد خروج اليابان منهزمة فى الحرب العالمية الثانية ، فى مقابل تباطؤ – أو تدهور – ممارسة الفكر التنموى فى بلدان أخرى ، حال خروجها منتصرة من معارك قومية) .

مرة أخرى، من استعراض الحالتين الأولى والثالثة ، والمتعلقتين بـ «قوة الفكر» ، فإنه يمكن التوصل إلى الاستنتاج بأن حالة فكر «قوة الفكر» لا تلغى «قوة الفكر» حيث هى امتداد تلقائى له ، ولكن حالة قوة «قوة الفكر» يمكن أن تتباين بين وجود قوة لقوة الفكر (وهنا تصبح «قوة الفكر» موجودة وذات شأن وتأثير خارج ذاتها) ، أو عدم وجود قوة لقوة الفكر ، وهنا تصير قوة الفكر مساوية – تقريباً – للعدم خارج حدودها .. هذا يوضح أن قوة الفكر يلزمها قوة ، وأنه فى غياب هذه القوة ، فإن قوة الفكر تصبح غير فاعلة .

والآن ، ماذا عن المجال الآخر ، والذى هو «فكر القوة» .. توجد حالتان بخصوص هذا المجال ، وهما : حالة قوة «فكر القوة» ، وحالة فكر «فكر القوة» .

المفارقة (أو المفاجئة) هنا أنه من الوارد دائماً (وربما يكاد يكون أمراً تلقائيًّا) أن يكون لفكر القوة «قوة» ، وأن يكون لفكر القوة «فكر» وكلاهما ، قوة «فكر القوة» وفكر «فكر القوة» أمر من السهل تواجده طالما هناك قوة . هذا يفسر حالة الولايات المتحدة حاليًا ، فرغم أنها موجودة كقوى كبرى منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية ؛ إلا أن توافر كل من «القوة» و «الفكر» لفكر النفوذ الأمريكى لم يكن أبداً بمثل ما هو عليه الآن فى أوائل القرن الحادى والعشرين[1] ، وهو أمر يتصل بالنفوذ الأمريكى ذاته وبالبيئة العالمية خارجه .

إن ما يمكن تلمسه هنا هو أن استمرار صعود كل من قوة «فكر القوة» وفكر «فكر القوة» يؤدى بشكل شبه حتمى إلى صراع كلى . إن هذا الصراع ، والذى يصل فى أعلى مستوياته إلى الحرب العالمية (أو تدمير لجزء كبير من الكرة الأرضية) يحدث ، ليس بسبب تضاد مع البيئة الخارجية بالنسبة للنفوذ أو القوة ، ولكن بسبب وصول القوة (فى ظل تصاعد قوة «فكر القوة» وفكر «فكر القوة») إلى منتهاها، والذى يكون هو الجنون (جنون القوة) ؛ حيث يظهر ذلك فى التشويه والقصور – وأحياناً الفوضى – فى الحس بما ينبغى اتباعه أو مراعاته من أولويات . وفى تقديرنا ، هذا هو ما أدى على المستوى الكبير إلى الحروب العالمية (أو الكبرى)، كما أدى – على مستوى آخر – إلى عنهجية الشركات متعدية الجنسية فى فرض جوانب غير عادلة إنسانيا داخل اتفاقية حقوق الملكية الفكرية ضمن اتفاقيات التجارة العالمية . وهذا هو أيضاً ما أدى (ويؤدى) إلى تباينات أخرى لجنون القوة ، والتى تظهر فى أشكال سياسية وإدارية ومالية ، تتجسم ملامحها فى أمور تختص بالسلطة والفساد (مثل فضيحة مؤسسة إمرون فى الولايات المتحدة ، ومثل إشكاليات الديمقراطية وتداول السلطة فى الدول النامية والأقل نموًّا) .

إن استعراض الحالات الأربع السابقة يبين لنا السيادية النسبية لحالة «فكر القوة» على حالة «قوة الفكر» . إن هذه السيادية تعد أمراً غير محمود على الإطلاق ، فى ضوء ما سبق الإشارة إليه عند مناقشة «تداعيات فكر القوة» ، و«آفاق قوة الفكر» ؛ حيث يكون مجال فكر القوة مصاحب بسلبيات المحدودية والتشويهية ، بينما يكون مجال قوة الفكر مصحوباً بالتواصل الإيجابى مع المصالح الإنسانية فى أبعادها المختلفة (جغرافيًّا وزمنيًّا) . هذه السيادية النسبية تظهر – إلى حد كبير – قدر عظمة الجهد الإنسانى اللازم ، والضرورى بذله باستمرار ، من أجل إحكام التحول من محدودية وأنانية «فكر القوة» إلى رحابة وموضوعية «قوة الفكر» .

(١) يمكن هنا الرجوع – كمثال – إلى أطروحات صراع الحضارات ونهاية التاريخ لكل من هنتنجتون وفوكوياما .

ب- استنتاجات :

ربما تقود التحليلات السابقة للتوصل إلى الاستنتاجات التالية :

١- أن «قوة الفكر» وسيلة رئيسية لإحداث التحولات الارتقائية الخاصة بالصالح الإنسانى .

٢- أنه توجد - عادة - سيادة لفكر القوة على قوة الفكر (وهو أمر يرجع إلى المغريات المحيطة بالقوة) ، ومن ثم المحيطة بفكر القوة أيضا.

٣- أن قوة الفكر لا تتحقق دون قوة تسمح بها وتؤازرها ، وعندها يكون لقوة الفكر قوة تنتج عنها وتؤدى إلى إحداث التحولات الارتقائية .

٤- أنه على الرغم من أن الصالح الإنسانى على كافة مستوياته (الفرد - الأسرة - الجماعة الصغيرة - المؤسسة - المجتمع - الدولة - العالم ...) يتحقق من خلال التحول من «فكر القوة» إلى «قوة الفكر» ، إلا أن هذا التحول نفسه يحتاج إلى القوة من أجل إحداثه ، ومن أجل رعايته ، وأيضا من أجل حماية مخرجاته .

٥- أن القوة التى يمكن أن تُحدث (وترعى) التحول من فكر القوة إلى قوة الفكر ، وأن تحمى مخرجات ذلك التحول ، تأتى من خلال خليط من فكر القوة (بما يتولد عنه من فكر ومن قوة) ومن قوة الفكر (بما يتولد عندها من فكر ومن قوة ، أيضا) .

٦- أن «قوة الفكر» لا يكون لها إمكانة الانتعاش والتأثير من أجل الصالح الإنسانى العام ، دون أن تنجح فى التعامل الديالكتيكى (أو الجدلى النشط) الناجح مع القوة ، بمعنى :

(أ) استخدام مركّز (بضم الميم) لقوة الفكر فى استكشاف وصنع عناصر قوة «قوة الفكر» .

(ب) الاستيعاب والنقد لفكر القوة ، والتأثير والتحويل فيه ، وفيما ينشأ عنه من تداعيات فى القوة وفى الفكر فى البيئة المحيطة (المؤسسة - المجتمع - الوطن - الإقليم .. إلخ) ، أى فيما ينشأ عنه من تداعيات قوة فكر القوة وتداعيات فكر قوة الفكر .

والآن .. ، ماذا بعد الاستنتاجات .. عربيًا :

إذا كان من الممكن الاخذ فى الاعتبار للتحليلات المجردة السابقة وما بزغ عنها من استنتاجات ؛ من أجل تمكين الذات العربية من إدارة الخروج من قفص (أو شرك) التحديات الساقطة عليها من البيئة المحيطة ، أو من أجل تمكين الذات الوطنية

فى أى قطر من الأقطار العربية (أو فى أى مؤسسة من المؤسسات الوطنية) من إحراز التقدم الأمثل فى ظل الظروف العالمية الصعبة الجارية ، فإنه يمكن طرح عدد من الشروط (و/أو المقاربات) التى قد تسهم إيجابيًا فى بلوغ الأهداف المرجوة (عربيًا و/أو قطريًا و/أو مؤسسيًا).

١- استخدام العقل الجمعى Collective mind (القائم على آليات الأسلوب العلمى فى التفكير) فى تحديد تفصيلى لأوجه القوة والضعف الذاتية ، فى كل من الجغرافيا والتاريخ والتراث والموارد (المادية والبشرية) والبنى والعلاقات الاجتماعية والمعرفية والفكرية والسياسية السائدة والممكنة .

٢- تحديد التحديات الرئيسية الساقطة ، والمحتمل أن تسقط على المنظومة المراد تمكينها (أى الأمة العربية - أو قطر عربى ما أو مؤسسة ما) ، وكذلك تحديد المشكلات الرئيسية الموجودة ، والتى يمكن أن تستجد داخل هذه المنظومة .

٣- اكتشاف (ورسم) العلاقات بين كل من أوجه القوة والضعف من ناحية ، والتحديات والمشكلات من ناحية أخرى .

٤- إعطاء أوزان للعلاقات التى يمكن أن تكتشف فى البند السابق .

٥- استخدام العقل الجمعى (القائم على آليات الأسلوب العلمى فى التفكير) فى استكشاف المعارف والإمكانات والأدوات الإنسانية والفكرية والعلمية والتقانية ، الموجودة (أو التى يمكن أن توجد) فى الساحة العالمية ، ويكون من المتوقع أن تحتوى على (أو تظهر لها) إمكانية لدور إيجابى فى التعامل مع التحديات والمشكلات المشار إليها أعلاه (فى البند ٢) .

٦- وضع استراتيجية (بمعنى سيناريوهات) قومية أو قطرية أو مؤسسية ؛ للتوصل إلى أحسن تشابك ممكن ، بين عوامل القوة الذاتية والمعارف والأمكانات والأدوات العالمية والمشكلات والتحديات الرئيسية ، بالأخذ فى الاعتبار للاستشرافات المستقبلية لمواطن وعوامل القوة ، وكذلك قدرات ومتغيرات الفكر العالمى .

٧- التوصل من خلال التشابك الممكن (المشار إليه فى البند السابق) إلى تحديد الأهداف الرئيسية والثانوية ، الممكنة للتقدم على المستوى القومى (أو القطرى أو المؤسسى) .

٨- إعادة تنظيم الاستراتيجية القومية (أو القطرية أو المؤسسية) طبقاً للتوجهات (أو السياسات) ، التى يكون قد تم التوصل إليها (من خلال تحديد الأهداف الرئيسية والثانوية الممكنة للتقدم - كما جاء فى البند ٧ أعلاه) .

٩- تجنب التفريط فى أية عوامل قوة (على المستويات القومية والقطرية والمؤسسية)، وتجنب إهدار أية إمكانات معرفة وفكرية .

والآن ، بالأخذ فى الاعتبار أن البنود (أو المراحل) السابقة (من «١» إلى «٨») تتضمن داخلها تعاملات مباشرة وغير مباشرة مع «القوة» ومع «الفكر» ، وكذلك مع فكر القوة ومع قوة الفكر ، فإنه من الطبيعى عند تطبيق السياسات والاستراتيجيات التى يمكن التوصل إليها ، على المستوى القومى (أو القطرى أو المؤسسى) ، أن يؤخذ فى الاعتبار حسن إدارة الديالكتيك بين «القوة» و«الفكر» ، بحيث يمكّن الفكر من بناء قوته ، وأن تمكّن قوة الفكر من إحداث التحولات المجتمعية الإيجابية المطلوبة ، وبحيث يجرى تحوير وبناء القوة المحضة (المال .. السلطة .. العلاقات .. المعرفة .. إلخ) ؛ بغرض الاستخدام الإيجابى للقوة فى المساعدة على إيجاد (ووجود) قوة للفكر ، وفى قيام قوة الفكر بدورها فى ترشيد عمليات بناء وتطوير القوة ، من منظور استدامة الصالح الإنسانى الخاص (قوميًا و/أو قطريًا أو مؤسسيًا) والعام (على المستويات الأعلى الإقليمية والعالمية والكوكبية) .

وبعد ، إذا كان كل ما سبق الخوض فيه فى هذا العرض يعتبر فكراً مجرداً ، فربما يكون من الضرورى جذب الانتباه إلى أن الفكر المجرد هو الأساس فى إبداع تطبيقات الفكر ، وأيضا الأساس فى إبداع القوة . فقط أن تكون البداية بفكر مجرد، يمكن التفاعل معه بالتصحيح والتقويم من المنظورين العملى والنظرى ، ثم الانطلاق فى التطبيق ، مع دوام الاستمرار فى الانتباه الواعى إلى ما نتج أثناء التطبيق ، من تصحيحات وتقويمات وتغييرات صوب إنجاز التقدم .

وحتى يكون هناك اقتراب عملى أكثر وأكثر من طبيعة ومتطلبات قوة الفكر، وما ينجم عن تداخلات بين القوة والفكر ، فإن الجزء التالى يعرض لإطلالات تطبيقية على جدلية «الفكر» و«القوة» ، ثم بعد ذلك يعالج الجزء الأخير المداخل التى يمكن أن تؤدى إلى قوة الفكر .. ذلك مع التركيز على «قوة الإبداع» كنموذج .

سادساً : إطلالات تطبيقية على جدلية الفكر والقوة :

لجدلية الفكر والقوة مداخل وزوايا وحركيات ومخرجات عديدة . وما نقصد إلى تقديمه هنا هو مجرد بعضاً من الإطلالات ، التى نظن أن فى كل منها يوجد مسمح أو أكثر للمداخل و/أو الزوايا و/أو الحركيات و/أو المخرجات المتعلقة بجدلية الفكر والقوة . ورغم أن كل إطلالة منها لا تزيد عن كونها مجرد إطلالة .. إلا أنها قد تساهم - مجتمعة - فى جذب الانتباه إلى أبعاد تطبيقية لجدلية الفكر والقوة ، على مستويات إنسانية مختلفة ، بدءاً من الإنسان الفرد (سواء هو صغير أو كبير ، محكوم أم حاكم .. إلخ) ، ومروراً بالكيانات المؤسسية والأنشطة الإنسانية ، .... وحتى العالم ككل .. ذلك مع ما قد يكمن فى هذه الإطلالات من تلامسات مع مجالات